ولكن اذا كان الأمر كذلك، فهل هذا يعني ان اللغة كانت دائما احدي الخصائص الأساسية المميزة للإنسان مثل اقدم مراحل التطور وانها كانت موجودة عند الادميات المبكرة – مثل انسان گرومانيون المعروف ان بعض الادميات الأولى كانت تعرف الفن التصويري او التسجيلي وانها استطاعت من طريق الرسوم والنقوش البدائية التي كانت تنقلها على جدران الكهوف من أن تبادل الرسائل وتسجل الأحداث وان تعبر عما يدور في أذهانها. ولكن هل تعتبر تلك الرسوم بمثابة محاولة أولية لها معناها ودلالتها كوسيلة للاتصال وتوصيل الأفكار والمشاعر قبل أن تظهر اللغة الكلامية[1]. ولا شك أنه من الصعوبة بمكان الوصول الى رأي حاسم وقاطع ونهائي في ذلك نظرا لقلة المعلومات التي لدينا عن هذا الموضوع، فوجود مثل هذه الرسوم والنقوش قد يكون بديلا الى الكتابة بمعناها الحالي ولكن من الصعب القول انه كان بديلا عن الكلام أو أن الإنسان المبكر لم يكن يستطيع التفاهم وتبادل الراي الا عن طريق التصوير والرسم، والذي يهمنا هنا ان الانسان الكائن الوحيد الذي عرف اللغة ووسائل الاتصال اللغوية، وأن له في تركيبه البيولوجي نفسه ما يساعد على ظهور اللغة والكلام وليس مجرد اصدار الأصوات التي يشترك فيها مع بقية هذه الكائنات، فالإنسان يتميز عن الكائنات العضوية الحية الأخرى بكبر حجم مخه بالنسبة لحجم جسمه، ومخ الانسان الحديث او الانسان العاقل اكبر بكثير من مخ الأدميات الأخرى فضلا عن امخاخ القردة العليا وبقية الحيوانات، وتعتبر هذه الميزة هي العامل الرئيسي الذي ساعده على أن يقيم ثقافة وخاصة به، وذلك بالإضافة الى بعض الميزات والخصائص الفيزيقية الأخرى مثل قدرة الأعصاب على التحكم بدقة في عضلات اللسان والحنجرة مما يساعد على نشأة الكلام المفصل ذي المقاطع المميزة وذلك فضلا عن وجود نوع من التناظر والترابط بين الأداء الاحساسات العضلية الناشئة عن حركة هذه الأعضاء وحاسة السمع، ويبدو أن أسلافنا الأوائل، حتى انسان الصين (sinanthropus) او انسان بكين (Peking

[1] Pei, M. op. cit. p.10.

(Man وانسان جاوة الذي يعرف باسم الانسان المعتدل القامة (pithecanthropus وامثالهم من الأعضاء المبكرين في العائلة البشرية كانوا في استطاعتهم عموما الكلام، فالاختلافات الواضحة في مخ الانسان عن امخاخ القردة العليا ثم نمو جهاره العصبي بشكل اكثر مما نجده عندها، ترتبط كلها بوجود اختلافات او تعديلات في طريقة ارتباط حركات اللسان بشكل غير معهود في القردة العليا أو حتى اي نوع آخر من (الأدميات)، وقد لعبت هذه الخاصية التشريحية دورا هاما حتى تمكن الإنسان من التحكم في الأصوات التي يصدرها وتنويع هذه الأصوات مما يستطيعه اي حيوان آخر، كذلك يتميز الانسان بقلة غرائزه الموروثة. ويذهب البعض في ذلك الى أن غرائز الانسان هي في الأغلب ميول عامة جدا، ولذا كان يتعين على العقل البشري ان (تعلم بالتجربة الاستجابات المناسبة المواقف المختلفة ، وعملية التعلم تتم جزئيا بمساعدة الأبوين كما هو الحال في كل الثديات، ولكن الإنسان ينفرد عنها بأن عملية التربية عنده يتم تنفيذها وانجازها ليس فقط عن طريق القدوة والمثل بحيث يقلد الأبناء ابائهم، بل وأيضا عن طريق القواعد والمبادئ العامة المجردة التي يمكن نقلها وتوصيلها للأجيال التالية، عن طريق الكلام الذي لم يكن ليتيسر لولا ذاك التركيب الفسيولوجي الخاص بالإنسان والذي يتمثل – في هذا المجال بالذات – بتركيب اللسان والحنجرة والجهاز العصبي)[٢].

[2] Childe, Gordon; Man Make Himself, Fontana Library, Collins, London, 1966, pp. 26-8.